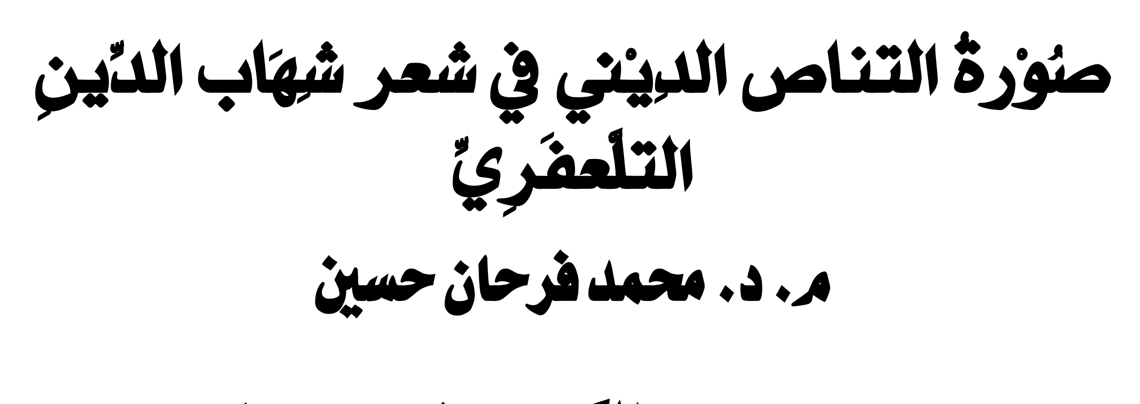


صُوْرةُ التناص الدِيْني في شعر شِهَاب الدِّينِ التلَعفَرِيِّ

م. د. محمد فرحان حسين

م.د. عبد الكريم جاسم حسين

مديرية تربية صلاح الدين

(The image of religious intertextuality in the poetry of Shihab Al-Din Al-Afallafari)

Teacher. Doctor. Muhammad Farhan Hussain

Salahuddin Education Directorate

Lecturer, Dr. Abdul Karim Jasim Hussain

Salahuddin Education Directorate

مُلخص البحث:

تتناولُ هذه الدَّراسة جماليةَ التناص الدِيْني الذي يعمدُ إليه الكثير من الشعراء ليجعلوه في نصوصهم الشعرية لتعزيز التجربة الشعرية ، ويزيدُ من قوة وضوح الصورة الفنية من خلال البعد التصوري في النص ، فتوظيف النصوص القرآنية في النص ماهي ألا ثمرة الجهد الثقافي والتراثي والاجتماعي لكل شاعر يصور بيئته من خلال منتوجة الأدبي الذي يحمل في طياته دسامة التجربة ، وجمالية التصور الذي يصل إلى المتلقي بأبهى حلة ، فشاعرنا التلعفري كان من الشعراء الذين ضمنوا التناص الديني في قصائدهم ، وكان بارعاً في التوظيف الذي ربط من خلاله واقعية التجربة ، وربط السياق مع التناص وكأنه جسداً واحداً في نسق مترابط معززاً الفكرة المنشودة في خلد المتلقي ، ليجعل من التناص ظاهرة واقعية تمتزج مع خيال الشاعر الذي يحول الفكرة إلى صورة واحدة في الفضاء النصي ليجعلها أكثر عمقاً وواقعية لدى المتلقي.

Summary

This study deals with the aesthetic of religious intertextuality that many poets intend to make in their poetic texts to enhance the poetic experience, and increases the strength of the artistic image through coherent poetic construction. Religious texts are the extract of culture, social and cultural awareness of that poet who reflected his environment through his literary product, Poets employed religious intertextuality in their poems, intertextuality which richest space of the poetic text and made it more creamy and profound in meaning, graceful pronunciation, in addition to the visual dimension of the reader or the recipient to make the experience like a bright beacon , Our poet Al-Tala'afari was one of the poets who included religious intertextuality in their poems to enrich the poetic experience. The poet excelled in depicting the experience by constructing the image and mixing religious intertextuality in the body of the text to make it one body in the poetic space to convey to the recipient a complete picture. The religious intertextuality of the poet was the firm religious discourse that made the poetic experience more profound and established, and more realistic for recipient.

المقدمة :

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين النبي محمد المصطفى وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الغر الميامين . إنَّ القرآن الكريم معجزة الإسلام ، وبحر زاخر من المعاني والبليغة والأسلوب الساحر الذي يسحر النفوس ، ويذهل العقول ، ويُعدُ الاقتباس من القرآن الكريم أحد الصور البلاغية التي يلجأ إليها الشعراء في أعمالهم الأدبية ؛ فمنهم من يُضمّن قصيدته إحدى مفردات القرآن الكريم أو يعمد إلى الإفادة من تركيب بعينه من خلال عبارة ينقلها من القرآن الكريم ؛ ليؤكد بها ما جاء به من فكرة طريفة ، ونجد بعضهم يقتبس من آي القرآن الحكيم من خلال توظيف مضمون معنى سيق في كلام الله تعالى في محكم التنزيل ، فإن هناك من يقتبس من شخصيات قرآنية ، ورد ذكرها في القرآن الكريم ، وما أكثرها في صورة أحد الانبياء عليهم السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، عند تقليب صفحات ديوان شاعرنا ، وقفنا على بعض من هذه الاقتباسات ، وبدءاً ينبغي الإشارة إلى أنَّ محاور هذا الاقتباس تختلف من حيث كثرة وقلة الاقتباس ، ولم يكن الشعراء في غفلة من روعته ، فقد استقوا من هذا المعين الفرات العذب في نصوصهم الشعرية ، فكان الشاعر التلعفري واحداً من أولئك الشعراء ، وبرز في شعره الأثر القرآني ، وكأنه شمس أشرقت عليه إشراقاً استهوى الباحثين ، حتى يلتقطون له صوراً من خلال التمعن في قصائده التي وظف فيها التناص ، وجاء بحثنا الموسوم ((صورة التناص الديني في شعر شهاب الدين التلعفري)) ، وعن منهج البحث ، فكان تحليلياً على استقراء النصوص الشعرية المرشحة ، ومن ثم تحليلها على وفق مبحثين يسبقها تمهيد تكلمت فيه عن مفهم التناص ، والدين ، وعرفت بالشاعر ، وكان المبحث الأول الكلام فيه عن الصورة ومكوناتها ، وجاء المبحث الثاني صورة التناص الديني ، والذي حللتَ فيه النصوص الشعرية التي ظهرت من خلالها الصورة الدينية ، وبعدها الخاتمة التي تضمنت اهم النتائج التي توصل إليها البحث.

التمهيد:

التناص لغة : ((النون والصاد أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء الشيء ... منه قولهم : نص الحديث إلى فلان : أي رفعه إليه ، والنص في السير أرفعه ، ويقال : نصصتُ ناقتي ... ونصصتُ الرجل : استقصيتُ مسألته عن الشيء حتى تستخرج ماعنده))[(1)] ،وأورد

صاحب اللسان مفاده أن ((والنَّصُّ والنَّصِيصُ: السَّيْرُ الشَّدِيدُ والحثُّ، وَلِهَذَا قِيلَ: نَصَصْت الشَّيْءَ رَفَعْتُهُ، وَمِنْهُ مِنَصَّة الْعَرُوسِ. وأَصل النَّصّ أَقصى الشَّيْءِ وغايتُه، ثُمَّ سُمِّيَ بِهِ ضربٌ مِنَ السَّيْرِ سَرِيعٌ. ابْنُ الأَعرابي: النَّصُّ الإِسْنادُ إِلى الرَّئِيسِ الأَكبر، والنَّصُّ التوْقِيفُ، والنصُّ التَّعْيِينُ عَلَى شيءٍ مَا، ونصُّ الأَمرِ شدتُه؛ قَالَ أَيوب بْنُ عُبَايَةَ:**وَلَا يَسْتَوِي، عِنْدَ نَصِّ الأُمورِ، ... باذِلُ معروفِه والبَخِيل**
ونَصَّ الرجلَ نَصًّا إِذا سأَله عَنْ شيءٍ حَتَّى يَسْتَقْصِيَ مَا عِنْدَهُ. ونصُّ كلِّ شيءٍ: مُنْتَهَاهُ))(٢) .

التناصُ اصطلاحاً :

التناصُ :هو ان يتضمن نص أدبي على أفكار أو الفاظ عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة أو ماشابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب ، لتكون في جسد النص الأصلي ويكون متكامل في لوحته ويعرفه البعض بمفهومة المعاصر ((إنها نصوص تم صناعتها عبر امتصاص في نفس الآن عبر هدم النصوص الاخرى للفضاء المتداخل نصياً ... ، علما بأن النص الشعري نتج داخل الحركة المعقدة لاثبات ونفي متزامنين لنص بآخر))(٣) ، ويقول ناقد آخر هو (ليون سو مفيل): ((كل نص هو امتداد لنص آخر أو تحويل عنه وبدل مفهوم التشخيصية يترسخ مفهوم التناصية ، وتقرأ اللغة الشعرية بصورة مزدوجة على الاقل))(٤) ،فالتناص بمعنى تداخل النصوص وتفاعلها من الظواهر التي تتسم بها النصوص الأدبية المنتجة بعامة ، فالنص لابد له بصورة أو آخرى من أن يتفاعل مع غيره من النصوص الأخرى لإنتاج نص أدبي جديد يستقي اشياء كثيرة من تجربة الشاعر الذاتية تضاف إليها التناصات المقتبسة عمداً أو عفواً ، فالتناص عبارة عن حدوث تفاعل وعلاقة بين نص سابق وحاضر لانتاج نص لاحق (٥)، ونستلخصُ مما ذُكر أن التناصَ حالة جديدة لنص قد دمج في جسد النص الأصلي لتكون صورة مصغرة لصورة النص الأصلي .

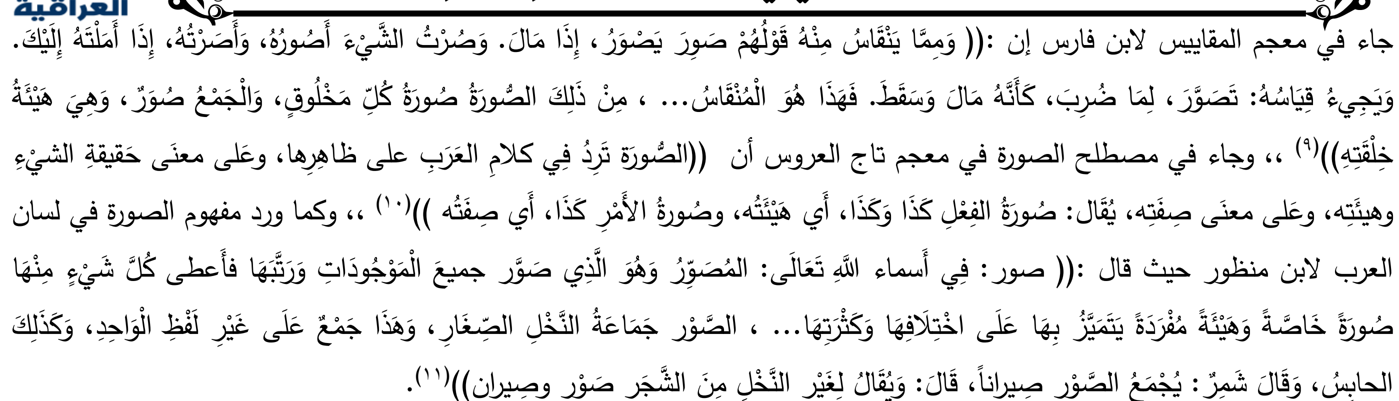
شِهَاب الدِّين التَّلَعْفَرِيِّ:

هو مُحَمَّد بن يُوسُف بن مَسْعُود بن بركَة الأديب البارع شهَاب الدّين أَبُو عبد الله الشَّيْبَانِيّ التلعفري الشَّاعِر الْمَشْهُور ولد بالموصل سنة ٥٩٣ هـ واشتغل بالأدب ومدح الْمُلُوك والأعيان،ومدح الْعَزِيز فَأَحْسن إِلَيْهِ وَقرر لَهُ رسوماً فسلك مَعَه ذَلِك المسلك ، وقد كان الشاعر مولعاً بالمقامرة ، فَنُودِيَ فِي حلب أَي من قامر مَعَ الشهَاب التلعفري قَطعنَا يَده فضاقت عَلَيْهِ الأَرْض فجَاء إِلَى دمشق وَلم يزل يستجدي ويقامر حَتَّى بَقِي فِي أتون ثمَّ فِي الآخر نادم صَاحب حماة توفّي سنة خمس وَسبعين وست مائَة أَنْشدني من لَفظه القَاضِي شهَاب الدّين أَحْمد بن غَانِم ورشيد الدّين يُوسُف بن أبي الْبَيَان كِلَاهُمَا قَالَ أنشدنا الْمَذْكُور من لَفظه لنَفسِهِ بحماة وفيهَا توريات حَسَنَة (٦) وَتوفى بهَا سنة هـ (٦٧٥) خمس وَسبعين وستمِائَة(٧)

المبحث الأول : الصورة ومكوناتها

تعدُ التجربة الشعرية التي تتمخض منها الصورة مكوناً أساسياً لخلق الصور ، فهي ليست مجالاً ضيقاً في الدراسات النقدية ، بل هي لاقتْ الاهتمام الكبير عند دارسي الشعر العربي ، وذلك بوصفها أداة الشاعر التي تُحَكْم شخصيته الفنية في الأداء التعبيري من جهة ، ومن جهة أخرى تعد الصورة مقياساً فنياً وشخصياً للمبدع الذي أنتجها ، ومهما يكن من أمر الصورة فقد تعددت الدراسات وتناولتْ الشعر العربي بشقيه القديم والحديث ، وخاصة بعد تبلور المفهوم في أذهان الدارسين هذا التبلور الذي نظر إلى الصورة على أنها أساس المركزية والمحورية في التعامل النقدي للشاعر ، وأساس الذاتية والخصوصية التي تميز نتاجاً عن آخر ، وبالنظر إلى هذه الخصوصية التي تميز الصورة الشعرية في المجال النقدي ، فالصورة هي: وسيلة تنقل تجربة الشاعر الإنسانية التي تستمد من واقع الشاعر ومن أحاسيسه وواقعه النفسي ، فهو يستلهمُ من واقعه رؤاه التي تفسح أمامه مجال الأبداع ، فالشاعرُ يحتاج إلى سمة روحية تبعده عن الواقعية ، فيكون قريب من الخيال ليرتقي درجات الشفافية والسمو الخَلاق ، فالشعر خرق للنظام المألوف للغة ، وإعادة كتابتها ضمن منهجية متميزة تحقق مردوداً نفسياً بوتائر عالية عند المتلقي ، وتترك لديه انفعالاً يشده إلى معاودة القراءة والتفاعل مع النص حيث لا يجد مناصاً من التفكير بالوحدة المحدثة التي يراها خلاف ما كان يراه في واقع اللغة المباشرة ، ولذلك يكون التعبير بالصورة الشعرية نوعا من الارتقاء باللغة في مدارج الخيال للاستحواذ على انفعالات المتلقي ، فهناك من((الضرورة الداخلية الملحة التي تدفعه إلى التعبير بالصورة باعتبارها مظهراً من مظاهر الفاعلية الخلاقة بين اللغة والفكر ، ووسيلة للتحديد والكشف)) (٨) .

الصورةُ في اللغة :



جاء في معجم المقاييس لابن فارس إن :((وَمِمَّا يَنْقَاسُ مِنْهُ قَوْلُهُمْ صَوِرَ يَصْوَرُ، إِذَا مَالَ. وَصُرْتُ الشَّيْءَ أَصُورُهُ، وَأَصَرْتُهُ، إِذَا أَمَلْتَهُ إِلَيْكَ. وَيَجِيءُ قِيَاسُهُ: تَصَوَّرَ، لِمَا ضُرِبَ، كَأَنَّهُ مَالَ وَسَقَطَ. فَهَذَا هُوَ الْمُنْقَاسُ... ، مِنْ ذَلِكَ الصُّورَةُ صُورَةُ كُلِّ مَخْلُوقٍ، وَالْجَمْعُ صُوَرٌ، وَهِيَ هَيْئَةُ خِلْقَتِهِ))[٩] ،، وجاء في مصطلح الصورة في معجم تاج العروس أن ((الصُّورَة تَرِدُ فِي كلامِ العَرَبِ على ظاهِرِها، وعَلى معنَى حَقيقةِ الشيْءِ وهيئَتِه، وعَلى معنَى صِفَتِه، يُقَال: صُورَةُ الفِعْلِ كَذَا وَكَذَا، أَي هَيْئَتُه، وصُورةُ الأَمْرِ كَذَا، أَي صِفَتُه))[١٠] ،، وكما ورد مفهوم الصورة في لسان العرب لابن منظور حيث قال :((صور: فِي أَسماء اللَّهِ تَعَالَى: المُصَوِّرُ وَهُوَ الَّذِي صَوَّر جميعَ الْمَوْجُودَاتِ وَرَتَّبَهَا فأَعطى كُلَّ شَيْءٍ مِنْهَا صُورَةً خَاصَّةً وَهَيْئَةً مُفْرَدَةً يَتَمَيَّزُ بِهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا وَكَثْرَتِهَا... ، الصَّوْر جَمَاعَةُ النَّخْلِ الصِّغَارِ، وَهَذَا جَمْعٌ عَلَى غَيْرِ لَفْظِ الْوَاحِدِ، وَكَذَلِكَ الحايِسُ، وَقَالَ شَمِرٌ: يُجْمَعُ الصَّوْر صِيراناً، قَالَ: وَيُقَالُ لِغَيْرِ النَّخْلِ مِنَ الشَّجَرِ صَوْر وصِيران))[١١].

الصورةُ في الاصطلاح:

لعل تعريفات الصورة الشعرية ، وما يدخلها في باب المفهومات لأنها عصية على التعريف الدقيق بشهادة بعض الدارسين الذين ذهبوا إلى القول بأن مفهوم الصورة عانى من التحديد الدقيق ، وانتابه قدر من الغموض والتعميم ، وكأنها كانت على التعديد والتأطير ، وقد أعتبر بعض النقاد أن الكتابة بالصور بمثابة المحور الذي تبنى عليه القصيدة المعاصرة بأسرها [١٢] ، وهي من جانب آخر ((جزء حيوي في عملية الخلق الفني)) [١٣] ، إلا أنهم لم يعمدوا إلى تعريف دقيق وواضح ومحدد[١٤]، وإنما حديثهم عنها بتعميم وتجريد لا يستطيع قارئه أن يخلص منه بتعريف واضح ومحدد إلى درجة أن أحدهم وصل إلى نتيجة ، وهي أن أي محاولة لإيجاد تحديد نهائي مستقر للصورة غير منطقي أن لم تكن ضرباً من المحال ، لأن للصورة ((دلالات مختلفة وترابطات متشابكة وطبيعة مرنة تتأبى التحديد الواحد المنظر أو التجريدي)) [١٥] ، وهو ما يجعل البحث في إشكالية الصورة الشعرية موضوعا حيويا يحتاج إلى اجتهاد نقدي واسع يجيب عن أسئلة إبداعية ونقدية واسعة ومنهم من قال : قبل ان تصبح الصورة أدبية وفنية على الفنان أن يمر بمرحلة (الإدراك الحسي) الذي يقصد به الأثر النفسي الذي ينشأ مباشرة من انفعال وتأثر حاسة أو عضو حس ... ،وهو يعني الفهم أو التعقل بواسطة الحواس ، وذلك كإدراك ألوان الأشياء وأشكالها وأحجامها وابعادها بواسطة البصر[١٦] ، وعن الإدراك الحسي ينشأ التصور الذي هو: استحضار للصور، والمدركات الحسية عند غيبتها عن الحواس من غير تصرف فيها أو نقص أو تغيير أو تبديل ، والتصوير يخرج هذه الصور في ثوب فني ، فالصورة إذن ((تلتقي جميعاً عند تصوير الألفاظ للمدلولات ، لا من قبيل الدلالة المعنوية ، فحسب ، ولكن من قبيل الطريقة التصويرية التخيلية)) [١٧]، ولما كان لكل صورة جمال ظاهر وخفي كان لزاماً على كل فنان أن يصنع تميزه في تصوير الجمال الخفي ، وإدراكه لكي يتسنى له التميز والإبداع في التصوير[١٨] ، وقيل أن الصورة في أبسط معانيها ((رسم قوامه الكلمات))[١٩] ، ومن تعريفات الصورة الشعرية نخلص بأنها ((تركيب لغوي لتصوير عقلي وعاطفي متخيل لعلاقة بين شيئين يمكن تصويرها بأساليب عدة ، إما عن طريق المشابهة أو التجسيد أو التشخيص أو التجريد أو التراسل))[٢٠].

الصورةُ الدينية:

يعدُ التراثُ الديني أحد الروافد الروحية التي ينفتح عليها الشعراء ليعيد توظيفها في نصوصه وفق طرائق متعددة ، وأساليب شتى تستثير في ذاكرة القارئ العشرات من النصوص التي يكتظ بها العالم ، فالشاعر يلجأ إلى التراث الديني لأسباب وعوامل منها ما هو فني ، ومنها ما هو سياسي واجتماعي ومنها ما هو قومي ونفسي [٢١] ، وهو ما يضفي على نصوصه نوعاً من الموضوعية ، وأبعدها عن الذاتية والغنائية المباشرة ، وجعلها تلامس وجدان المتلقي ، فهو يستلهم منها صوراً لها قيمة روحية ومعتقدا يترسخ في ذاكرة المتلقي لتشكل في ذهنه مرتسم الصورة المفعمة القيمة المتجسدة من الخيال الواقعي الذي يذهب بالقارئ إلى زمن قديم ويربط معه الواقع ليستدل بذلك على صرح الحقيقة الذي تتشكل في فحواها الاحداث الواقعية التي تنقلها صورة ، والصورة الدينية هي التي تنقل الأحداث الواقعة في مخيلة الشاعر على حسب المعتقد بكل تفصيلاته وتصوره تصويراً حياً من النواحي للفنية والنفسية واللمسية والبصرية ، لأن الدين هو مرتكز المجتمعات ومنضم الحياة للإنسان ، فالصور الدينية تحمل بين معانيها قداسة الفكر ورقي المنطق وجمال الأسلوب وحرية الخيال في أطار السكينة والاطمئنان التي تجعل من الشعراء ان يغوصوا في أعماق هذا المعتقد على اختلاف مشاربه وتعدداته ومعتقداته ، فالصدق الواقعي والمتخيل يندمج في فكر الشاعر وفي تجربته الشعرية التي يمزجها برموز دينية ويشكل بها نوعاً من الصور تبهر المتلقي وتصل به على ضفاف الواقعية وتترسخ في ذاكرته ما كان

يغفل عنه ، فالصور الدينية تفرض الاقتناع العقلي متعاضداً بأثارة العواطف والانفعالات الإنسانية ، فهي بذلك ترتكز على العقل والعاطفة معاً ، فالصورة هي التي تعرض مركباً عقلياً وعاطفيا في لحظة من الزمن(٢٢)، والصورة في القرآن الكريم هي : الوظيفة الجمالية والوظيفة النفسية والوظيفة الاجتماعية والوظيفة الدينية ، ثم إن التصور القرآني يتدرج في مظاهر متعددة بوسائل مختلفة ، جعلت للمعاني والموضوعات القرآنية صورتها التي نراها ، ومن هذه الصور كانت قيمتها الكبرى ، فالتصوير هو الأداة المفضلة لأي أسلوب في القرآن الكريم ، وهو القاعدة الأولى لبيان الأعجاز ، وأولى وسائل هذا التصوير هو الصورة الإشارية أي الرمّزية ، وإن القرآن الكريم بحر زاخر بالكنوز والنفائس الفنية ، ومن أراد الحصول على لآلئه ودرره فعليه لأن يغوص في أعماقه ، فلآلئه لا تنفذ ، ودرره لا تنتهي ، وهو محيط مترامي الأطراف لا تحده عقول ولا أفراد ولا أجيال تلتقي عنده نهايات الفضيلة كلها على تباعد ما بين أطرافها ، فهو أبهر عقول فرسان البيان ، التصوير في القرآن ، فهو طريقة التصوير في التعبير وجعله الأداة المفضلة في أسلوبه ، فالقرآن يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور ، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ،ويرسخها في ذهن المتلقي ، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة(٢٣).

المبحث الثاني : صورة التناص الديني:

يعدُ التراثُ الديني أحد الروافد الروحية التي ينفتح عليها الشعراء ليعيد توظيفها في نصوصه وفق طرائق متعددة ، وأساليب شتى تستثير في ذاكرة القارئ العشرات من النصوص التي يكتظ بها العالم ، فالشاعر يلجأ إلى التراث الديني لأسباب وعوامل منها ما هو فني ، ومنها ما هو سياسي واجتماعي ومنها ما هو قومي ونفسي، فالشاعر التلعفري لجأ إلى التناص الديني ليزيد من قوة قصائده ويرسخها في أذهان الممدوح والقارئ ليجعلها تعلق في الأذهان ويستطيب سماعها لما فيها من نسج من آيات الله وأحكامه ، فهم يرسم من خلال التناص القرآني الكثير من الصور إذ يقول : (٢٤)

قسماً بشمسِ جبينها وضُحاها	وبلَيلِ طُرّتِّها إذا يغشاها
إنَّ النُّفوسَ لغيرِها لا تشتهي	أبداً ولا تَهوَى القُلوبُ سِواها
لَّما رَنَت نحوَ السَّماء بِطَرفِها	ورأت تقلُّبَ طرفِ مَن يَهواها
قالت محاسنُ وجهِها لمحبِّها	لَنُوَلِّيَنَّكَ قِبلةً ترضاها

يُقْسِمُ الشاعرُ بجبين محبوبته وضياء سطوع هذا الجبين وبالليل المنقشع بظهورها ، فهو يصور اشتياقه من خلال جعل محبوبته التي تهوي إإليها قلوب العاشقين ، وتشتهي النفوس قربها ، فهي تنظرو نحو السماء بطرفها لتلاحظ طرف عيون من يلاحقها ويستطيب النظر إليها ، لتخبره محاسن وجهها وتقاطيعه إنها ستكون له كالقبلة التي يتجه إليها المسلمون ويشدون الرحال إليها ، يرسم الشاعر من خلال التناص القرآني مع قوله تعالى : (قَالَ تَعَالَى:﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ ﴿١٤٤﴾ (٢٥) فالشاعر يرسم صورة من خلال التناص القرآني كيف جعل من حيرته في عشق محبوته التي يود الوصال منها قد جعل من التناص السعادة له بأن جعل محبوته كالقبلة التي يؤمها المسلمين ويتجهون إليها في صلاتهم ، فمن خلال الصورة المختزلة في التعبير القرآني استطاع ترسيخ الصورة ا في ذهن المتلقي.

وقوله ايضاً: (٢٦)

وقيِّمٍ كَلَّمت جِسمي أَنامِلُهُ	كأَنَّ ديناً لَهُ عِندي فَآذاني
إن أَمسَكَ الكَفَّ مِنّي كادَ يَكسِرُها	أَو سَرَّحَ الشَّعرَ من رأسي فَآذاني
فَليسَ يُمسكُ إمساكاً بِمعرفَةٍ	ولا يُسرِّحُ تَسريحاً بِإحسانِ

يصور الشاعرُ القَيم الذي بيده عقدة الأمر ، ربما قصد هنا محبوبته التي يرى في يدها عقدة أمره ، فهي تجرح جسمه بالأنامل التي قد تلمسه فيها ، فتبقى آثارها في قلبه تؤرقه وتسهد عيونه ، فهي أن تمسك يده تكاد تكون ستكسر من شدة رضوخها وارتخائها له ، فالمحبوبة لاتمسك بمعروف ووصل ، ولا تترك من شغف بحبها بسلام ، نرى الشاعر يرسم من خلال التناص الديني صورة مفارقة المحبوبة في سلام وانسياب ، فقد جعل الآية الكريمة ((قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ ﴾(٢٧) التي قيلت في حق المرأة رأفة ومحبة في مفارقتها قد جعل الشاعر هذا الخطاب الرقيق المنمق باللطف في مخاطبة محبوبته .

وقوله ايضاً: (٢٨)

لو باتَ بما أُجِنَّهُ مُكتَرِثا ... ما خانَ ولا كانَ لعهد نَكَثا

يبدو فيقولُ كلُّ مَن يَنظُرُهُ ... سبحانَكَ ما خلقتَ هذا عَبَثا

يصورُ الشاعرُ صدود محبوبته التي لاتهتم له ولاتكترث لما يصيبه جراء الشوق لها ، ولو كانت تعلم مايجول في قلبه لما صدتْ عنه ، ولاخانتْ عهوده ووعوده ، ويصور جمالها حين يشرقُ ويطلعُ على الناس ،يجعل من يراه في حيرة، فيندهش من جمالها ، فيردد سبحان الله ماخلق هذا الجمال باطلاً ، فالشاعر يصور من خلال التناص القرآني في قوله تعالى ((﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ ﴾ (٢٩)قد جعل من التناص القرآني صورة يرسم بها شدة جمال محبوبته ليرسخ هذه الصورة في نفس المتلقي ويحث فضول المتلقي ويجعله في حيرة من تخيل جمال حبيبته .وقوله ايضاً: (٣٠)

يا عَاذلي قَسماً بمن فَلَقَ النَّوى ... ما المُوتُ عندَ ذوي الهوَى إلاَّ النَّوى

فَإلامَ لومٌ والرَّكائبُ طُلَّحُ ... حَسرَى تَسيرُ ونَجمُ شَملي قَد هَوى

نأتِ الدِّيارُ ببَدرٍ حَيّ لم يَدَع ... حيَّاً وما أَودَى بمُهجَتهِ الجَوَى

تَرفِ البَنَانِ قَوامهُ لو شِئتَ أن ... تَلويهِ من لين المعَاطفِ لالتَوى

حُلوِ الرُّضَابِ لَطِيفُ خالِ خُدودِهِ ... من فوقِ عرشٍ كالشَّقيق قدِ استَوى

يصورُ الشاعرُ الذي يقسمُ بالذات المقدسة لمن يلومه أن الموت يكون للعشاق هو البعد والفراق الذي يقتلهم بالسهر والهم والحزن ، ومهما يلوم اللائم فالشاعر يكون في مراكب عالية لايلتفت إليهم ، فهو يجعل من التناص القرآني في قوله تعالى : ((﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٩٥ ﴾(٣١)فهو يجعل من التناص القرآني صورة مترسخة في ذهن المتلقي فهو يَقْسمُ بالذات المقدسة من خلال التناص ليؤكد مايعانيه ويكابده في العشق ، ويستمر في رسم صورة محبوبته ويرسم مشيتها اللطيفة ، ورقة أطراف أصابعها المنعمة ، وصفاء خدودها وعذوبة ريقها ، فهي مترفة ومخدومة ، ويجعل من التناص القرآني في قوله تعالى ((﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ﴾ (٣٢) صورة في رسم مكانة محبوبته التي يصور أكتمال حسنها وتمامه ، كشقائق النعمان المكتملة في تمامها ، ويجعل من التناص في الاستعلاء والتمام في الجلوس في منصة الأمر ليجعل من التناص صورة تترسخ في خلد المتلقي . وقوله ايضاً: (٣٣)

حَديثُ وَجدي بِكُم إذا ما ... عَزَّ حَديثُ الهَوى قَديمُ

وَحبُّكُم والفُؤادُ مِنّي ... طُولَ المَدى الكَهفُ والرَّقيمُ

يصورُ الشاعرُ حديث الشوق عن محبوبته الذي هو من قديم الأزل ، وذلك الحب الذي رسخ في قلبه ولم يتغير رغم مرور السنون ، فالشاعر يجعل من التناص القرآني من قوله تعالى((﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ٩ ﴾ (٣٤)فالشاعر يجعل من التناص الديني الصورة التقريبية لثبات حبه الذي لم يتغير كأصحاب الكهف والرقيم الذين لم يتغيروا رغم تعاقب السنوات عليهم .

وقوله ايضاً: (٣٥)

ودام رفقُكَ يا باناسُ متَّصلاً حتَّى يُرَى كلُّ طامٍ وهوَ ريَّانُ
تلكَ الجِنانُ التي حيثُ التفتَّ تَرى قصراً مُنيفاً به حُورٌ وولدانُ

يصورُ الشاعرُ جريان نهر (باناس) الذي هو من انهار دمشق الذي يتمنى ان يطول جريانه حتى يرتوي كل ضامئ ، ويصف الجنان التي تحفها الأشجار والورود ، والقصور العالية المشيدة بتمام بنائها ،ويصور جمال النساء والغلمان الذين هم في تلك الرياض ، فقد جعل من التناص الديني في قوله تعالى ((﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾[٣٦] ، فقد صورمن خلال التناص الديني صورة جمال القصور المشيدة العالية المتقنة ، ورسخ الصورة في خلد المتلقي .

وقوله ايضاً: [٣٧]

حاشاكَ تُكافي بِدُموعٍ تَكِفُ حَتَّى تَتَلافى مَن بَراهُ التَّلَفُ
لَو كُنتَ تُصافي لَم يَكُن ما أَصِفُ جَنبٌ يَتجافَي وفُؤادٌ يَجِفُ

يصفُ الشاعرُ محبوبتهُ التي يلتمسُ العذر لها عن انهمار الدموع التي نزلت من عيون عاشقها الذي اتعبه الشوق وانعدام الوصال ، فلو كانت محبوبته تصله لما وصف حالته التي يشوبها الحزن والسهر جراء الأرق وخفقان القلب في تذكر من يشتاقهم في قلبه ، فقد جعل من التناص الديني في قوله تعالى ((﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[٣٨]

فقد صور من خلال التناص الديني صورة التجافي عن النوم بسبب الأرق الذي يساوره ويحرمه من المنام نتيجة الشوق الشديد وانشغال فكره بمن يحب .وقوله ايضاً : [٣٩]

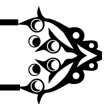
أَأَفوزُ من أَسرِ الهوى بخَلاصِ؟ كيفَ المناصُ ((ولاتَ حينَ مَناصِ))
بي ظاعِنٌ كم دونَ يومِ لِقائِهِ من فَتِّ أكبادٍ وَشَيبِ نَواصي
يَسطُو عليَّ بأبيضٍ من لَحظهِ وبأسمرٍ من قَدّهِ عَرَّاصِ

يصورُ الشاعرُ حالة عشقه التي يصفها بالأسر بكل مايحمله هذا المعنى ، ويتسائل هل سيفوز بما كان يطلبه من هذا العشق بالخلاص والنجاة إلى بر السعادة مع محبوبته ، بل هو يتسائل عن كيفية الخلاص ولا خلاص من وصال محبوبتة التي لالقاء يجمعهم سوى الهم والحزن الذي يلف فؤاده ويشيب اطراف شعره ، جراء الشوق الحارق ، فهو في مواجهة محبوبته التي لحظها يقع عليه كالسيف القاطع ، وكالرمح من رشاقته غصنه ، ويجعل الشاعر من التناص الديني من قوله تعالى ((﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ ﴾)) [٤٠]

فالشاعر يجعل من التناص الديني صورة لنفاد حيلته ويأسه من وصال محبوبته التي يرى لاسبيل إليها .وقوله ايضاً: [٤١]

مَنعَت مِن رُضابِه السَّلسبيلا مُقلَةٌ لم تَدَع إليهِ سَبيلا
كلَّما رُمتُ رشةٌ منهُ سَلَّت لمِسَيلِ الدِّماءَ سَيفاً صَقيلا
ما حمَتهُ بمرُهفِ الَّلحظِ إلاَّ حينَ أضحى مِزاجُه زَنجبيلا

يصورُ الشاعرُ جمال وصفاء ريق محبوبته التي يرى فيه ماء السلسبيل العذب لكن في الوقت نفسه ترمقه بعيون صلبة وحادة تزجره وتمنعه من الاقتراب إليها ، فكلما هم في رشفة من ذلك الريق انبرى له سيفاً يضرجه بالدماء من تلك العيون ، فهو ينعمُ بالنظر إليها حين يرقُ اللحظُ وتهدأُ مزاجية محبوبته ، وتصبح في مزاج ونفسية كالزنجبيل الذي يسكن الأعصاب ويهدأ الروع ، فالشاعرُ يجعلُ من التناص الديني في قوله تعالى ((﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ ﴾[٤٢] صورة لطعم الكأس الذي يسقونه المؤمنون في الجنة كطعم الزنجبيل العذب ، يجعل مزاج محبوبته في مزاج لطيف وسلسل كأنها شربت من هذا الكأس .وقوله ايضاً: [٤٣]

يا حُسنَها مِن ليلةٍ ما شانَها إلاَّ تبلُّجُ صُبحِها المتنفِّسِ
فوقتَ للرقباءِ فيها أسهُماً من مقلتيكَ لها حواجبُك القِسي
ما كنتُ أَطمعُ قبلَها في مِثلِها فأَعدتني من مثلِها لم أَيأسِ

يصورُ الشاعرُ حسنَ وجمال محبوبته التي يصفُ شدة جمالها الذي ينجلي الليل منه في ليلة تنفس الصبح من شدة الجمال ، ولها رقباء من المقل تشد اسهماً من قسي الحواجب لكل من أراد التطفل عليها، فما كان الشاعر يطمع في مثلها منذ زمناً ، لكن هي من جعلتْ الشاعرُ يهوي في قلبه إليها ، وجعلتْ في قلبه الأمل في الوصول إليها ، ويجعلُ الشاعرُ من التناص الديني في قوله تعالى ((﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ ﴾ (٤٤)صورة لتنفس الصبح في ظهوره وانكشافه ، فقد جعل الليلة تتقهر أمام جمال محبوبته وينكشف عنها الفجر .

الخاتمة

تظلُ جمالية التناص الديني براقةً في كل نص شعري تكون فية وتلملمُ أجزاء الصورة من خلال المرجعية الدينية ونسيج التجربة ، فالشاعر شهاب الدين التلعفري ، زخرتْ نصوصه الشعرية بالكثير من التناص الديني الذي أخذ حيزاً جمالياً يساهم في بناء الصورة ، ولقد وظف الشاعر هذا التناص الديني في أفضل توظيف ، فقد جعل التناص ركيزة لترسيخ الصورة في خلد المتلقي من خلال رسم ملامحها في نسق النص ليجعل منه جسداً واحداً في الفضاء الشعري ، وسجل التناص الديني لدى الشاعر التلعفري حضوراً واضحاً في قصائدة ، وهذا دليل على عمق ثقافته الدينية التي عرف بها ، ورشاقة ألفاظه ووضوح معانية ،فمقومات الصورة نسجها ببراعة حتى ليشعر المتلقي ان التناص قد ذاب في جسد النص ، فقد بلور التجربة واتقن صياغتها ودقق في نسجها وحبك خيوطها ليجعل من عمله الشعري لوحة تنقل المتلقي إلى ملامحها ليعيش في تفاصيل تشبيهاته التي يزينها بفن التناص الديني الذي يكاد يمحى الحد الفاصل بينه وبين النص الشعري وكان أكثر واقعية , واعمق تأثيراً في الخطاب .

المصادر والمراجع:

١-: معجم المقاييس في اللغة ، ابن فارس / تحقيق: شهاب الدين بن عمر / دار الفكر ـ بيروت / ط٢ ، ١٩٩٨م / ١٠٢٩.

٢-لسان العرب / ابن منظور / دار صادر ـ بيروت / ط ٣ - ١٤١٤ هـ / مـ / جـ ٧/ ٩٨..

٣- علم النص / كريستيفا جوليا / ترجمة : ف}اد الزاهي دار توبقال ـ المغرب / ط١/ ١٩٩١م ٧٩.

٤- التناصية / سومفيل ليون / ترجمة : وائل البركات / ١٩٩٦م / د.ط / ج٢١/٢٣٣-٢٥٨.

٥- ينظر:فكرة السرقات الادبية ونظرية لاتناص / عبد الملك مرتاض / مجلة علامات النادي الادبي الثقافي / حـ١/ جدة / ١٩٩١م جـ ١/ ٧٥.

٦-الوافي بالوفيات /صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي /المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى الناشر: دار إحياء التراث – بيروت عام النشر:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م / جـ ٥/ ١٦٧.

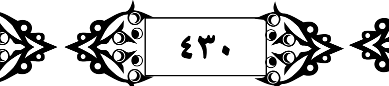
٧-- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين /المؤلف: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ) الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١ أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان ج/٢/ ١٣٢.

٨- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب / جابر عصفور/ المركز الثقافي العربي . بيروت / ط٣ / ١٩٩٢مـ ـ ١٤١٢/ :. ٣٢٩.

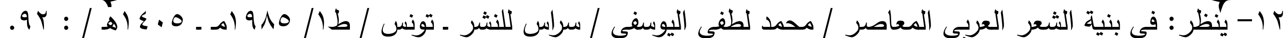
٩- ١٥٣. معجم مقاييس اللغة / أبو الحسن أحمد بن فارس / تحقيق : عبد السلام هارون / دار الفكر .بيروت / ط١/ ١٩٧٩م. ١٣٩٩هـ / جـ٣/ : ٣٢٠.

١٠- تاج العروس من جواهر القاموس/ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي/ تحقيق: مصطفى حجازي / مطبعة الكويت ـ الكويت / د.ط / ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣مـ / جـ ١٢ / ٣٥٨.

١١- ١٢٧. لسان العرب / ابن منضور جمال الدين محمد بن مكرم / دار صادر – بيروت/ ط٣/ م ١٤١٤ هـ/.جـ٤/ :. ٤٧٣ـ ٤٧٥.







١٢- ينظر: في بنية الشعر العربي المعاصر / محمد لطفي اليوسفي / سراس للنشر ـ تونس / ط١/ ١٩٨٥م ـ ١٤٠٥هـ / : ٩٢.
١٣- جدلية الخفاء والتجلي دراسات بنيوية في الشعر العربي / كمال أبو ديب / دار العلم للملايين ـ بيروت / ط٤/ ١٩٩٨م ـ ١٤١٩هـ / :. ٢٩.
١٤- ينظر: الصورة الفنية في القصيدة الجاهلية / عبد الله حسين البار / حضرموت للدراسات والنشر ـ اليمن / ط١/ ٢٠٠٦م ـ ١٤٢٧هـ /: ٢٦.
١٥- الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث / بشرى موسى صالح / المركز الثقافي العربي ـ المغرب / ط١/ ١٩٩٤م ـ ١٤١٤هـ / : ١٩
١٦- ينظر:في النقد الأدبي / عبد العزيز عتيق / دار النهضة ـ بيروت / ط٢/ ١٩٧٢م ـ ١٣٩٢هـ /صـ ٦٨.
١٧- ينظر: في النقد الأدبي/ :. ٦٩.
١٨- ينظر: الصورة في الخطاب الشعري الجزائري / عبد الحميد هيمه / دار هومة. الجزائر / ط١/ ١٤٢٤هـ. ٢٠٠٣م / ٧٤.
١٩- الصورة الشعرية /دي لويس سيسل / ترجمة : أحمد نصيف الجنابي وأخرين / مؤسسة الخليج ـ الأردن / د.ط / ١٩٨٤م ـ ١٤٠٤هـ / :. ٨١.
٢٠- الصورة الشعرية عند فدوى طوقان / خالد سنداوي/دار الشرق ـ بيروت / ط١/ ١٩٩٣م ـ ١٤١٣هـ / :. ٣٧.
٢١- ينظر/ استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر / :. ١٥.
٢٢- ينظر : الصورة الفنية في النقد الشعري / عبد القادر الرباعي /مكتبة الكتاني . إربد . الأردن / ط٢/ ١٩٩٥م . ١٤١٦هـ./ : ١٩٤.
٢٣- ينظر: التصوير الفني في القرآن / سيد قطب / دار الشروق ـ بيروت / ط٩/ ٢٠٠٠م ـ ١٤٢١هـ / صـ ٣٦.
٢٤- ديوان التلعفري / شهاب الدين محمد بن يوسف بن مسعود التلعفري الشيباني / تحقيق: الدكتور رضا رجب / دار الينابيع ـ دمشق / ط٢/ ٢٠٠٤م / ٤٦.
٢٥- سورة البقرة / ١٤٤.
٢٦- ديوان التلعفري / ٣٧٢.
٢٧- سورة البقرة/٢٢٩.
٢٨- ديوان التلعفري /٥٠٩.
٢٩-سورة آل عمران / ١٩١.
٣٠- ديوان التلعفري / ١٧٨.
٣١- سورة الأنعام / ٩٥.
٣٢- سورة الاعراف/ ٥٤.
٣٣- ديوان التلعفري / ٣٨٦.
٣٤- سورة الكهف/ ٩.
٣٥- ديوان التلعفري / ٩٧.
٣٦- سورة الحج / ٤٥.
٣٧- ديوان التلعفري / ٥٣٠.
٣٨- سورة السجدة/ ١٦.
٣٩- ديوان التلعفري/ ٢٨٩.
٤٠- سورة ص/ ٣.
٤١- ديوان التلعفري/ ٨٤.
٤٢- سورة الأنسان / ١٧.
٤٣- ديوان التلعفري/ ٢٥٧.
٤٤-سورة التكوير / ١٨.